العمران الكويتي القديم

شهدت الكويت عبر تاريخها تطوراً عمرانياً تميز بالبطء في بدايته ، ثم تسارع بشكل كبير مع تطور شتى مرافق الحياة بعد الخمسينات ، وصولاً إلى السرعة الهائلة التي نشهدها هذه الأيام .

واللافت للنظر أن العمران الكويتي القديم كان منسجماً مع الواقع الذي يحياه أبناء الكويت ، إذ كان يستفيد من المواد الموجودة في بيئته ليبني منها مسكنه والمكان المخصص للحيوانات ، كما كان يكيفه ليتلاءم مع الطبيعة القاسية ، إضافة إلى إضفاء جو اجتماعي مميز أسهم في تعزيز وحدة البلد الصغير ، وتماسك البنيان الاجتماعي .

العوامل الطبيعية :

من المعروف أن الكويت تقع على رأس الخليج العربي بين ٢٠ و٣٠° شمال خط الاستواء ، وهذا يضعها في الإقليم المداري الصحراوي ؛ حيث الحرارة الشديدة التي تصل في المعدل إلى ٤٥° م صيفاً ، وحيث عدم سقوط الأمطار والرطوبة العالية في أشهر الصيف ، إضافة إلى العواصف الترابية ، وفي الشتاء حيث الطقس المعتدل نسبياً مع كميات قليلة من الأمطار التي تختلف من سنة إلى أخرى .

أما الفصول الأخرى فهي غير واضحة تماماً ، فالطابع العام للطقس هو فصل الصيف الذي يطغى على معظم أيام السنة عدا أشهر الشتاء .

وكان من نتيجة تطرف المناخ وقسوته أن تكونت أشكال معينة للعمران

تلائم هذه الطبيعة وتنسجم مع تلك القسوة في المناخ ، فكانت الأحياء المتلاصقة والمساكن التي تفصلها عن بعضها مسافات صغيرة ، إضافة إلى تقارب جميع الأمكنة العامة التي يرتادها الناس كالمساجد والأسواق .

حيان قديمان :

تشكلت الكويت من عدة أحياء قديمة ، إضافة إلى التجمعات السكانية التي كانت قائمة في المدن البعيدة عن العاصمة كالجهراء والفميحيل والأحمدي ، وغيرها ، وكانت هذه الأحياء تحيط بالبحر وتقع قرب الساحل الممتد حالياً من قرب الأبراج ومستشفى الأميري إلى موقع قريب من ميناء الشويخ الحالي .

وإلى جانب ذلك التكتل كانت هناك بيوت متناثرة تقع قريباً من الأحياء القديمة .

ومن أشهر الأحياء القديمة حيان يعرفان باسم (حي شرق) و(حي القبلة) ، وتأتي تسميتهما من اتجاههما الجغرافي ، وقد ارتبط هذان الحيان بالواجهة البحرية ، وبالتالي بالنشاط التجاري البحري الذي عرفته الكويت قديماً .

ويتميز (حي شرق) أو الشرق ، بأنه مكان صناعة السفن وإصلاحها ، والغوص عن اللؤلؤ ، وكانت تسكنه أكثر العائلات التي تمول عملية الغوص والسفر .

أما (حي القبلة) فكانت تسكنه بعض العائلات التي عملت في التجارة ، ولاسيما تجارة الأخشاب .

أما في الأحياء القديمة الأخرى ، كالمرقاب والصالحية والصوابر ،

فكان القاطنون بها يتميزون بممارسة عدد من المهن اليدوية إضافة إلى تجارة التجزئة .

وكانت الأحياء السكنية تتكون من حارات (فرجان) ومفردها (فريج) ، تضم طرقات ضيقة ومنازل متلاصقة ، وهذه البيوت تسمح بتشكيل ظل طوال النهار ، مما يتيح لأبناء الأحياء المرور بها دون تعرضهم لأشعة الشمس القوية ، كما كان لهذه البيوت المتلاصقة تأثير اجتماعي قوي ، إذ إنها تساعد على تمتين صِلات السكان بعضهم ببعض ، وتعزيز صلات المودة والتراحم ، وتقوية التماسك الإجتماعي ، وتشكيل وحدة اجتماعية متراصة .

المنازل القديمة :

كان الكويتيون يستفيدون مما تقدمه الطبيعة لديهم من مواد للاستخدام في بناء بيوتهم ، وكانوا يأتون بالحجارة (الصخور) من منطقة عشيرج أو النجش .

وكانت معظم البيوت تبنى من الصخور .

وكان الجص (الجبس) يستخدم لصناعة أعمدة يتراوح ارتفاعها ما بين ١٠٠سم و٢٠٠سم تقريباً ، فيما يتراوح عرضها ما بين ٢٥ و٣٠ سم ، إضافة إلى استخدامات أخرى ، كما كانت الكويت تضم عدداً من بيوت الخص (بيت الخص هو بيت من شجر أو قصب أو سعف النخل) ، وبعضها يستخدم للسكن ، فيما يستخدم البعض الآخر للحيوانات .

واشترك مع الخص أيضاً « الكبر » ، وهو شبيه (بالعشة) لكنه مستطيل الشكل ومثلث السقف ، ويتكون سقفه من خشب الجندل الذي يحمل السقف المكون من حصران البواري (القصب) ، ثم انتشرت

العشيش بعد ذلك وتطورت « الأكبار » وأصبحت جدرانها من الطين .

وكانت أخشاب المساكن تجلب من الموانئ الإفريقية عن طريق التجار الكويتيين الذين كانت سفنهم تحط في موانئ إفريقية بعد المرور بسلطنة عمان وعدن أن تتوجه من الهند إلى الموانىء الإفريقية في رحلة تمتد نحو عشرة أشهر متواصلة .

وكان هناك نجارون وبناؤون متخصصون في البناء ، وكان يطلق على المعلم الماهر في البناء اسم « الأستاذ » ؛ تكون لديه ورشة تضم عدداً من العمال الذين يساعدونه على بناء المنزل أو ترميمه .

التصميم الداخلي :

حرص البناؤون الكويتيون على بناء منازل تلائم البيئة القاسية لبلادهم ، وتحميهم من حرارتها اللاهجة وبردها الشديد (في أيام عدة من فصل الشتاء) ، وكان البيت يبنى على شكل فناء مكشوف تقام حوله مستلزمات المسكن كالغرف والمطابخ ودورة المياه .

أما مواد البناء فتتكون من الطين المخلوط بالقش ، وكانت هذه التركيبة تساعد على التعايش مع البيئة القاسية ، فهي تمنح البيت رطوبة في فصل الصيف ودفئاً في فصل الشتاء .

وكان البناؤون يحرصون على جعل الجدران عالية للتخفيف من حدة الحرارة في فصل الصيف إضافة إلى تزويد الغرف بفتحة تمتد من السطح حتى أرضية الغرف تسمى (باجدير) تسهم في الحصول على هواء بارد نسبياً .

وسقف المنازل كان يطعم بمواد مختلفة ؛ منها (البارية) ، وهي نوع من الحصر تغطي الأسقف وتوضع فوق أنواع من خشب (الجندل) ، كما كان المسكن الكويتي يتجه إلى الداخل ، حيث تنعدم النوافذ المطلة على

الأحياء ، وذلك تمشياً مع العادات والتقاليد ، وللتخفيف من حرارة الشمس ، وهذه النوافذ كانت تطل على الفناء الداخلي للمسكن (صحن الدار) المفتوح إلى السماء .

وكانت بعض المنازل تحتوي على بركة للماء العذب تبنى في حوش المنزل ، وهذه البركة تكون بعيدة عن البئر أو دورة المياه ، وتكسى من الداخل بالصخر البحري ، ثم تشبع بالجص والإسمنت لسد الثقوب .

كما كان البناؤون يهتمون بوضع أمكنة تصريف مياه الأمطار على الأسطح ، لئلا تتجمع المياه ضمن برك صغيرة وتسبب في إتلاف السطح والجدران ، وإيذاء أبناء السكن .

أهم المواد المستخدمة في البناء :

١ـ **اللبن** : مادة بمثابة الطابوق الإسمنتي حالياً ، تستخدم لبناء الجدران وتجلب من أمكنة متفرقة من الكويت ، وتخلط مع « التبن » الذي يستخلص من مخلفات قشور القمح والشعير لتصبح « اللبنة » قوية متماسكة .

٢ـ **الصخر** : يستخدم في بناء أسس الجدران في الغالب نظراً لتكلفة نقله وتهذيبه ، ويستخدم أحياناً للجدار فيصبح قوياً متماسكاً ، يجلب الصخر من منطقة (المشيرج) أو أي من المناطق الأخرى البحرية .

٣ـ **الرماد** : ما ينتج عن مخلفات الاحتراق التي تستخدم في الطهي ، ويستخدم بعد خلطه مع الماء وتسويته على سطح البيوت كمادة عازلة لمنع تسرب الماء .

٤ـ **الجص** : هو ما يعرف حالياً بالجبس ، ويكون لونه أبيض مائلاً إلى الصفرة ، ويستخدم لعملية مساح البيوت بعد خلطه بالماء وعجنه لزيادة تماسكه ، والمادة كانت متوافرة في الكويت .

٥ـ **الحشري** : قطع صغيرة من الصخور المنتشرة على سواحل البحر ، يستخدمها البعض بفرشها على أرضية فناء البيت (الحوش) ، وأيضاً لحجرات (الدور) ، وذلك لتماسك الأرضية .

٦ـ **الحُصْحُص** : نوع من الطين يميل لونه إلى الصفرة الباهتة ، ويسمى « الطين الأبيض » يستخرج من باطن الأرض ، ويستخدم لدفن أرضية فناء البيت والحجرات ، ويوضع فوق « **الحشري** » .

٧ـ **الجندل** : نوع من الأخشاب الذي يعرف بشجر « المنجروف » ، ينمو بكثرة في شرق إفريقية ، ويستخدم في تسقيف الدور ، ويصبغ بطلاء معين لمنع تآكله .

٨ـ **الباسجيل** : نوع من أغصان الأشجار الفارعة التي تسمى « البامبو » ، يستخلص على شكل شرائح طولية ، وترص على شكل متقاطر فوق « الجندل » .

٩ـ **البواري والمناقير** : نوع من الحصير السميك يستخدم في تغطية سقوف الدور وتوضع فوق « الباسجيل » و« الجندل » .

١٠ـ **الطاري** : مادة ذات لون أسود شديدة التماسك ، تستخلص من مشتقات النفط التي كانت تستورد من الخارج ، تستخدم لدهان « الجندل » و« الباسجيل » لوقايتها من التآكل .

وسائل البناء القديمة :

١ـ **الصخين** : يستخدم لجرف الطين والتراب ، وكأداة للخلط والتسوية لأرضية فناء البيت والحجرات .

٢ـ **الهيب** : حديدة طولها نحو ١,٥ متر ، رأسها مدبب ، وقطرها بحدود ثلاثة سنتيمترات ، تستخدم لحفر الأرض الصلبة وللهدم .

٣ـ **الجدوم** : هو ما يطلق عليه حالياً « المعول » ويستخدم للحفر والهدم .

٤ـ **الزبيل** : يوضع بداخله مواد البناء الأساسية من تراب وطين وصخر ويحمله البناؤون على أكتافهم لينقلوا به مواد البناء .

٥ـ **الجيلة** : وعاء صغير يتسع لنحو ثلث كيلو غرام ، يستخدم لغرف الماء وبعض مواد البناء .

٦ـ **الخيط** : يستخدم لتحديد دقة امتداد البناء المقام ، ويكون البناء وفق امتداد الخيط بشكل أفقي .

٧ـ **البلْد** : يستخدم لتحديد استقامة البناء من الناحية الرأسية ، ولاستقامة ارتفاع الجدار المبني .

* * *